﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى: 6 - 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

اللـه تعـالى يُـحـيـي مـيّـتَ الأرواح بالعِلْم، كـمـا يُـحـيـي مـيّـتَ الأشـبـاحِ بالأرواحِ

لمّا استوفى البيان الإلهي وصفَ مَنْ أمَرَه ﷺ بتسبيحه، بما دلَّ على أوصافِ جَماله ونعوتِ كِبْريائِه وجَلاله، وشرح ما له سُبحانه مِن القُدرة التّامَّة على الإبداع والهداية والتَّصرُّف في الأرواح الحسّيَّة والمعنويَّة بالنَّشر والطيِّ والقَبْضِ والبَسْطِ؛ أتبعه ما للخلائق، وبدأ بما لأشرف خَلْقِهِ المُنْزَلِ عليه هذا الذِّكْرَ؛ تقديرًا للنُّبوَّة، التي بها تتمُّ السَّعادة بالحقائقِ الواصلة من الحَقِّ إلى عَبْدِه، التي بها يتمُّ أمرُه من القوَّتين: العِلْميَّة ثُمَّ العَمَليَّة بقبول الرِّسالة بَعْدَ التَّوحيد؛ لأنَّ حياة الإنسان لا يتمُّ طيبها إلّا بمقتدٍ يُقتدى به في أقواله وأفعاله وسائر أحواله، ولا مُقتدى مثل المعصوم عن كُلِّ ميلٍ، الموجِب ذلك الحُبَّ مِن كلِّ ما يُعرَف حاله، والحبُّ في الله تَعالى أعظم دعائم الدّين، فكان من المُناسب في هذه الآيات أن يُعلِّل الأمر بالتَّسبيح للموصوف بالجلال والجمال، بما يدلُّ على أنَّه يُحيي ميِّت الأرواح بالعلْم، كما يحيي ميِّت الأشباح بالأرواحِ[1].

الأمـرُ بالتَّسبيح مُـؤذنٌ بالبِشارة بالحفظ وعـدَمِ النِّسيانِ

ومِن أوجُهِ المُناسبَةِ أيضًا: أنَّ السّورةَ افتُتِحَت بالأمْرِ بتسبيح الله تعالى، مع وصْفِه بعددٍ مِنَ الصِّفات التي توجِبُ تسبيحَهُ وتَمْجيدَه مؤذنٌ بأنَّ الله تعالى سيُلقي إلى النَّبيِّ ﷺ عقب الأمرِ بالتَّسبيح والتَّنزيه بشارةً وخيرًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[2].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 394، 395.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 272.

الـوعـدُ بـحِـفْـظِ القرآنِ الكريمِ؛ لـيـكـون عـونًـا للنَّبيِّ ﷺ على ذِكْرِ ربِّه والدَّعوة إليه

ومن أوْجُهُ التَّناسُبِ كذلك: أنَّ الله تَعالى بعد أن أمَرَ نبيَّهُ ﷺ في أوَّل السّورة أن يُسَبّح باسْمِه، وأن يُذْكُرَه ويُمَجِّده، وذلك بتلاوة الآياتِ التي يتلقّاها وحيًا من ربِّه تَعالى، فإنَّ خيرَ ذِكْرٍ لله سُبحانَهُ هو تلاوةُ آياته ﷻ؛ ناسَب أن يَعِدَه في هذه الآيات بألّا ينسى شيئًا من القرآنِ النّازلِ عليه، حيثُ كان النَّبيُّ ﷺ يَخْشى ذلك، فيَجْتَهِد في حِفْظِ ما نَزَلَ عليه بتكراره وتَثْبيتِه[1].

❁ شَرْحُ المُفرداتِ:

1) ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾: القافُ والرّاءُ والحَرْفُ المُعْتَلُّ أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى جُمَعٍ واجْتِماعٍ، وإذا هُمِزَ هَذا البابُ؛ كانَ هوَ والأوَّلُ سَواءً، ومِنْهُ: القُرْآنُ، سُمِّيَ بذلكَ لِجَمْعِهِ ما فيهِ مِنَ الأحْكامِ والقِصَصِ وغَيْرِ ذَلِكَ[2]، ومنه: القِراءَةُ، وتعني: ضَمَّ الحروف والكلماتِ بعضِها إلى بعضٍ في التَّرتيل، وأصلُها: حِفْظ المقروء أو استيعابُهُ في القَلْب، قال اللّه سُبحانه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، والمَعْنى: سَنُحفِّظُك، أو سَنَجْمَعُهُ في صَدْرِك[3].

2) ﴿ٱلْجَهْرَ﴾: (جهر) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ إعْلانُ الشَّيْءِ وكَشْفُهُ وعُلوُّهُ، يُقالُ: جَهَرْتُ بالكَلامِ؛ أي: أعْلَنْتُ بِهِ، ورَجُلٌ جَهيرُ الصَّوْتِ؛ أيْ: عاليهِ[4]، والجهرُ يُقال لظُهور الشَّيء بإفراط حاسَّة البصَرِ أو حاسَّة السَّمع، أمّا البَصَرُ فنَحْوُ: رأيتُه جِهارًا، قال تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: 55]، وأمّا السَّمعُ؛ فمِنْهُ قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد: 10]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[5].

(1) أبو حيّان، البحر المُحيط: 10/ 457، والخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 16/ 1529، 1530.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قري).
(3) الرّاغب، المُفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قرأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جهر).
(5) الرّاغب، المُفردات: (جهر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لن يَنْسى النَّبيُّ ﷺ شيئًا مِنَ الوَحْيِ النّازلِ إليه إلّا ما شاء الله تَعالى أن يَنْساهُ

في هاتين الآيتين يَعِدُ الله تعالى نبيَّه ﷺ مُخاطِبًا: سَنُقْرِئُك - أيُّها الرَّسول - القرآنَ على لسان أمين وحْيِنا جبريلَ عليه السلام، وسنجعَلُك حافِظًا واعيا لما سَيَقْرَؤُه عليك، بحيث لا تنساه في وقتٍ مِنَ الأوقات، أو في حالٍ من الأحوال، إلّا في الوقت أو في الحال الذي يشاء الله تعالى أن يُنْسيَك شيئًا مِن ذلك، فإنَّك ستنساه بأمره؛ لأنَّه وحده العليم بما كان ظاهِرًا مِنَ الأشياء، وبما كان خافيًا مِنْها[1].

❁ الإيضاحُ اللّغويّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فصل الآية عمّا قبلَها:

بيانُ سببِ الأمْرِ بتَسْبيح الله تَعالى وتَنْزيهِهِ

جاءت جُملةُ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ مفصولةً عمّا قبلها لِشِبْهِ كمالِ الاتِّصال، الذي تُجيب فيه الجُملة الثّانية عن سؤال يتردَّد في النَّفس حول السَّبب في الأمر بتسبيح الله تَعالى الموصوف بالجلالِ والكمال[2]، ويجوزُ أن تكون كذلكَ؛ لأنَّ البشارة المفهومةَ من الأمر بالتَّسبيح تُنْشِئُ في نفس النَّبيِّ ﷺ ترقُّبا لوعْدٍ بخيْرٍ يأتيهِ، فبَشَّره الله تعالى بأنَّه سيزيده من الوحي، ووعده بأنَّه سيَعْصِمُه مِن نِسْيانِهِ؛ ليُبَلِّغه كما أُنْزِل عليه مِن غير زيادَةٍ ولا نُقْصانٍ[3].

معنى السّين في ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾:

إقراءُ النَّبيِّ ﷺ القرآنَ كانَ كثيرًا مُتَكَرّرا

السّين في قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ حرفُ اسْتِقْبالٍ يُفيدُ تأكيدَ حُصولِ الإقراء في المُسْتَقْبَل، بصورة كثيرةٍ ومتجدِّدة، لا تنقطعُ ولا تتوقَّف؛ ليكون زادًا للرَّسول ﷺ في مُهِمَّته التي كُلّف بها، وعونًا له في رِسالَتِهِ التي سَيَدْعو النّاس إليها.

(1) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 15/ 364.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 279.

دلالة التَّعبير بفعل القراءةِ مادَّةً وصيغَةً:

عبَّر البيان الكريم عن الحِفْظِ والتَّثبيت بفِعْلِ الإقراء على سبيلِ المَجازِ المُرْسَل لعلاقة السَّببيَّة؛ ذلك أنَّ القراءةَ هي طريقُ الحِفْظِ، والسَّبب الرَّئيس فيه، وجيءَ به مُضارِعًا لِما يُفيدُهُ مِن تجدُّد حصول الإقراء واستمراره ما بَقيَ مِن عُمر النَّبيِّ ﷺ، وعدم انقطاع ذلك عنه في وقتٍ من الأوقات، وعُبِّر به مُتعدّيا بالهمزة؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان أمّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، ولأنَّ الإقراء سيَتِمُّ بوَساطَةِ أمينِ الوَحْيِ جبريلَ عليه السلام[1].

القراءةُ هي طريق الحِفْظِ والسَّبَبُ الرَّئيس فيه

نوعُ المجاز في إسنادِ فِعْلِ الإقراء إلى ضميرِ الله سُبحانه:

ضمير المُتكلِّم المُستتر في قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ يعود إلى اللّه ﷻ، وإسناد فعل الإقراء إليه بصيغةِ التَّكلُّم مجازٌ عقليٌّ علاقته السَّببيَّة، لأنَّ اللّه تعالى هو جاعل الكلام المقروء وهو الآمرُ بإقرائه[2]، ووجه إسناد الفعلِ إلى ضميرِهِ ﷻ دون فاعلِهِ الحقيقيِّ وهو جبريلُ عليه السلام: شرحُ صَدْرِ النَّبيِّ ﷺ وزيادَة تطمينه إلى أنَّ الإقراء وما يتطَلَّبه من حِفْظٍ وتثبيت كائن لا محالَة، وفيه إلماعٌ إلى أنَّ معونةَ اللّه تعالى ومُساندتَه ومُساعدَتَه لرَسولِهِ ﷺ أمورٌ مُصاحبة لهذا الأمر، الذي ورَدَ الإخبار بثِقَلِ ما يترتَّب عليه في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: 5].

معونةُ اللّه تعالى ومُساندتُه مصاحبةٌ للأمر بالإقراءِ

بلاغَة الالتفاتِ في الجُملةِ:

كان مُقْتَضى الظّاهر أن يُقال: (سيقرئك فلا تنسى) جريًا على ما درجتْ عليه السّورة من التَّعبير بضمير الغَيْبة فيما سبق من آياتها، لكنَّ النَّظم الكريمَ انتقل إلى التَّعبير بأسلوب التَّكلُّم، فقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾؛ لقَصْدِ الإقبال على المُبَشَّر ﷺ، وإذهاب ما

التَّعبيرِ بأسلوبِ الخِطابِ فيه إقبالٌ على المُكلَّف وتطمينٌ له

(1) المليجي، من بلاغة القرآن الكريم في الحديث عن تكريم الرَّسول وتوقيره: 64.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 280.

قد يصعُبُ عليه، نتيجةَ إعلامهِ بتجدُّد الوحي واستمراره؛ إذْ مِن البدَهيِّ أنَّ ذلك سيترتَّب عليه كثيرٌ مِن المَصاعِب والمَتاعِب، فأقبل اللّه تعالى على نبيِّه ﷺ يُخبِرُه بأنَّه اصطفاه للرِّسالة، وسَيَهْديهِ ويمنُّ عليه بما يكون عونًا له على القيام بها، فيحصل له مزيدٌ مِن الاطمئنانِ إلى ذلك؛ لأنَّه أُخبِر به مرَّتين، **الأولى**: عن طريق التَّعميم؛ لكونه داخلا في عموم الخَلْق، **والأخرى**: عَن طريق التَّخصيص، ولا يخفى ما في ذلك من زيادةِ التَّشريف والتَّطمين[1].

لطيفةُ التَّعبير بضميرِ الخِطاب:

كاف الخطاب في ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ يعود إلى النَّبيِّ ﷺ، وهو في محلِّ نصبٍ مفعولٌ لفعْلِ الإقراء، وقد أوثرَ التَّعبير به زيادةً لمُؤانسة النَّبيِّ ﷺ وزيادةً في تَطْمينِه؛ لِما يُشْعِر به مِن شدّة القُرْب واخْتِصاص النَّبيِّ ﷺ بالإقراءِ والتَّثبيت دون غيرهِ ممَّن خُلق، نظرًا إلى ثِقَلِ الحَمْلِ الذي يحمله، وعِظَمِ الأمانة التي كُلِّف بها، والمعنى: نَجْعَلُك بعَظَمَتِنا بوعد لا خُلْف فيه، على سبيل التَّكرار بالتَّجديد والاستمرار قارئًا؛ أي: جامعًا لهذا الذِّكر الذي هو حياةُ الأرواح بمنزلَةِ حياة الأشباح، الذي تقدَّم في السّورة السّابقة أنَّه ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ [الطّارق: 13]، عالمًا به كُلَّ علم، ناشرًا له في كُلِّ حيٍّ، فارقًا به بَيْنَ كُلِّ مُلْتَبِسٍ، وإن كنتَ أمّيًا لا تُحسِن الكتابة ولا القراءة[2].

في التَّعبيرِ بأسلوبِ الخطابِ مؤانسةٌ للمُخاطَب وإشعارٌ له بالاخْتِصاص

معنى الفاء في قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾:

الفاءُ في قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ حرفُ عطفٍ يدلُّ على أنَّ الحِفْظَ وعَدَمَ النِّسيان مُسبَّبٌ عن الإقراء ومُترتِّب عليه، ما يعني أنَّ النَّبيَّ ﷺ لن ينسى شيئًا أُنْزِل عليه، وأقرأه إيّاهُ جبريلُ عليه السلام، مَهْما كان وقْتُه، ومهما كان حَجْمُه.

الحِفْظُ وعدمُ النِّسيانِ مُسبَّبٌ عن الإقراء ومُترتِّبٌ عليه

(1) المليجي، من بلاغة القرآن الكريم في الحديث عن تكريم الرَّسول وتوقيره: 65.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 395.

وجه النَّفي بـ (لا):

تَطْمينُ النَّبيِّ ﷺ

أوثِر نفيُ النِّسيان بـ (لا)؛ لأنَّه يدلُّ بمعناهُ ومَبْناهُ - المُشْتَمِل على حرفِ المَدِّ في آخرِه - على نفي نسيانِ النَّبيِّ ﷺ أيَّ شيء أوْحى الله تعالى به إليه فيما مَضى، ونفي نسيانِ أيَّ شيء يوحَى به إليه فيما هو آتٍ، نفيًا قاطِعًا، غير قابل للشَّكِّ أو الرَّيب؛ ليُطَمْئِنَ النَّبيُّ ﷺ إلى عدم النِّسيان، مهما كَثُرَ الإقراءُ وتتابَعَ.

دلالةُ التَّعبير بفِعْلِ النِّسيان مادَّةً وصيغَةً:

نسيانُ القرآنِ الكريم أو غيره منفيٌّ عن النَّبيِّ ﷺ نفيًا قاطعًا

أوثر تسليطُ النَّفي على فعل النِّسيان؛ ليَشْمَل جميع ألوانه وأشكاله؛ أيْ أنَّ النِّسيان الكُلّيَّ غيرُ واردٍ، والنِّسيان الجُزئيَّ منفيٌّ أيضًا، ولو قيل: (سنُقرئك فتحفظ)؛ لأفاد الحفظَ، لكنَّه لن يُفيدَ عدمَ نسيانِ شيءٍ مِن ذلك المحفوظ، وجيءَ بالفِعْلِ مُضارِعًا ليَشْمَلَ الماضيَ والمستقبلَ، وحُذِفَ مفعولُه للعلم به، وليعمَّ المعنى القرآنَ الكريم وغيرَه ممّا يوحَى به إليه، والمعنى: فلا تنسى شيئًا مِنَ الوحي ولا من غيره؛ ليكون في ذلك آيتانِ: كونك تقرأُ وأنت أمّيٌّ، وكونك تُخبِر عن المُستقبَل، فيكون كما قُلت[1].

بلاغةُ الاستثناء بـ ﴿إِلَّا﴾:

مِن تمام قُدرةِ اللهِ تعالى وحكمَتِه في تدبير أمورِ خَلْقِه أن يُنسي نبيَّه ﷺ ما يشاء

﴿إِلَّا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ حرف استثناءٍ يُفيدُ الإثارةَ والتَّشويق إلى ما يأتي بعدَهُ؛ لأنَّه غيرُ داخِلٍ في حُكْمِ النِّسيان المَنْفيِّ ومُستثنى منه، والتَّعبير به احتراسٌ دالٌّ على أنَّ مِن تمام قُدرة الله تعالى وحكمته البالغة في تدبير شُؤون خَلْقِهِ أن يُثبت ما يشاء، وأن يُنسيَ نبيَّه ﷺ ما يشاء، ففي الإثباتِ خيْرٌ عظيم، وفي المحو كذلك خيرٌ عظيم، لا يُمكن لأحَدٍ أن يُحيط به مَهْما اتَّسَع عِلْمُه، ومهما تَعَمَّقَ فهمُهُ.

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 395.

وجهُ التَّعبير بـ ﴿مَا﴾ الموصولةِ:

﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ اسمٌ موصول في مَحَلِّ نصْبٍ مفعولُ ﴿تَنسَىٰٓ﴾. وقد أوثِر التَّعبير به لما يُفيده من عموم المعنى وشُموله كُلَّ ما أراد الله تعالى أن يُنْسيَه نبيَّه ﷺ، فلا يثبتُ في ذاكرته، وليشمَل كذلك كُلَّ ما يُريد الله تعالى أن ينسخَ حُكْمَه مع بقاء لَفْظِه يُقرأ ويُتْلى، والمعنى: لا تَنْسى مِمّا تقرؤه شيئًا من الأشياء إلّا ما شاء الله تَعالى أن تنساه أبدًا بأن نَنْسَخَ تلاوتَهُ[1].

دلالةُ التَّعبير بفِعْلِ المَشيئةِ ماضيا:

الإنساءُ والمَحْوُ لا يكون خبْطَ عشواء، وإنَّما لمصلحة اقتضتْها حكمتُه تعالى

قولُه تعالى: ﴿شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ جُملَةٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ صلَةُ الموصول، وقد عبَّرَ فيها النَّظمُ الكريمُ بفعل المشيئة؛ للدَّلالة على أنَّ الإنساء لا يكونُ خبْطَ عشواء، ولكنَّه خاضع لمشيئة الله تعالى وعلمه، ولِما فيه من مصلحةٍ اقْتَضَتْها حكمَتُه، وجيء بهِ ماضيا للإشارة إلى أنَّ إنساءَ آيةٍ أو نسخَها من الأمور المُقَدَّرة في الأزل، والتي لا تخرج آثارُها وفوائدها عن عِلْمِ الله تَعالى وإحاطته بطبائع خلقِه وسِماتهم وطاقاتهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14].

سِرُّ إظهارِ الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُۚ﴾ في موضع الإضمار:

التَّسليم المُطْلَق للمَلِكِ الأعلى تحقيقٌ للمصلحة العُظمى

كان مقتضى الظّاهر أن يُقال: (إلّا ما شئنا) جريًا على نسق التَّعبيرِ في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، لكنَّ النَّظم الكريم عَدَلَ عن التَّعبير بضمير العظمة إلى إظهار الاسم الجليل، الذي يُستعمل في مواضع التَّأليه والتَّعظيم، فقال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ تربيةً للمَهابة، وحثًّا على التَّسليم المُطْلَقِ لله تَعالى ﴿ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ في كُلِّ ما يتعلّق بأمْرِ الوحي إثباتًا ومَحْوًا، لما في كلٍّ مِن مصلحةٍ لا يُحيط بها غيره، ولا يعلمها أحدٌ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 144.

سِواه، والمعنى: "إلّا ما شاء المَلِكُ الأعظم الذي له الأمر كلُّه أن تَنْساهُ؛ لأنَّه نسَخَه، أو لتَظْهَر عظمتُه في أنَّ أعظم الخَلْقِ يغلِبُه القرآن؛ لأنَّه صفةُ اللّه تَعالى، فتَنْسى الآيةَ أو الكلمة ثُمَّ تَذْكُرُها تارةً بتذكير أحَدٍ مِن آحاد أمَّتِك وتارة بغيرِ ذَلِكَ"[1].

ويجوز أن يُخرَّج قول اللّه تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ من باب الالتفاتِ من التَّكلُّم إلى الغَيْبَةِ؛ جنوحًا إلى ما تضمَّنَهُ الاسمُ الأحسَن ﴿ٱللَّهُ﴾ من معاني الجلالِ والجمالِ والكمالِ.

فائدةُ حذفِ مفعول المشيئة:

لم يَذْكُر النَّظم الكريمُ مفعولَ فعل المشيئة؛ لكونِه معروفا من السّياق عليه، وجريًا على عادة البيان العربيِّ في حذفهِ غالبًا، والمعنى: إلّا ما شاء اللّه تَعالى أن تنساهُ[2].

علَّة فصل قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾:

جاءت جُملة: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ مفصولة عمّا قبلها؛ لشِبْهِ كمال الاتِّصال، الذي تُنَزَّل فيه الجُملة المفصولةُ مِمّا قبلها منزلةَ الجوابِ مِن السُّؤال، أو السَّبب من المُسَبَّب، فتُفْصَلُ عنها كما يُفْصَل كُلٌّ منهُما عنِ الآخر.

بلاغَةُ التَّوكيد بـ: (إنَّ):

تـأكـيـدُ الـخـبَرِ لقاصِري النَّظر

جاءت الجُملة التَّعليليَّة: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ مؤكَّدةً بـ(إنَّ) في أوَّلها؛ لتأكيد عِلْمِ اللّه تعالى بالسِّرِّ والعلانية، المُسبَّب عنه إثباته ما يَشاءُ مِنَ الوحي، أو محوه مِن ذاكرةِ النَّبيِّ ﷺ والمُسْلِمين، أو نسخة بغيرِه مِنَ الآيات مع بَقاء لَفْظِه، فيرسخ لدى المُسلمين عبر العصورِ حكمةُ اللّه تَعالى وفضلهُ العميم مِن النَّسخ والإنساء؛ لأنَّه حاصلٌ عن عِلْمٍ وإحاطة، فالتَّعبير بـ (إنَّ) في أوَّل الجُملة التَّعليليَّة

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 396.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 280، 1/ 321.

يجعل الجُملتين كأنَّهما أُفْرِغا إفراغا واحدًا، وكأنَّ أحدَهُما قد سُبك في الآخر[1]، كما أنَّه يَقْضي على ما يَعْتَمِل به صدر النَّبيِّ ﷺ وصُدور المُؤمنين؛ بسبب نسيان شيءٍ مِنَ الوحي الذي أنزله الله تَعالى إليهم؛ لِما يُفيده من تأكيدِ الخبَرِ لِقاصِري النَّظر.

لطيفة التَّعبير عن الله تعالى بالضَّمير:

الله سُبْحانَهُ يَتعالى في العَظَمَة إلى حَيْثُ تَنْقَطِع أماني الخَلْقِ عَن إدْراكِه

لّما كان القصدُ مِن هذه الجملة إعلامَ الخلقِ بأنَّ الله تعالى يُحيط علمًا بكلِّ شيء، ولا يُحيط بعلمه شيء، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: 255]، فيتِمُّ التَّسليم بما أثبته وما أنساه؛ عبَّر عن ذاته بالضَّمير فقال: ﴿إِنَّهُۥ﴾ للإشارة إلى تعاليهِ في العظمَةِ إلى حيثُ تَنْقَطِع أماني الخلق عن إدراكهِ بما كثُرَ مِن أفعاله، وأنَّه مهما شاء كانَ، ولا رادَّ لمشيئته، ولا مانعَ لإرادته[2].

سِرُّ التَّعبير بالفعل ﴿يَعْلَمُ﴾ مادَّة وصيغَةً:

علمهُ بأحوال خَلْقِه المُتَنَوّعة بَيْنَ الجَهْرِ والإخفاءِ

قولُه تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ جملة في محلِّ رفْعٍ خبَرٌ للحَرْفِ النّاسخ. وأوثِرَ التَّعبير فيها بفِعْلِ العلم دون فعل المعرفة؛ لِما يُفيده مِن العموم والشُّمول؛ إذِ المعرفة تعني العلمَ بعَيْنِ الشَّيء مُفَصَّلا عمّا سواه، في حين أنَّ العلم يكون مُجملًا ومُفصَّلًا، فضْلًا عن أنَّ المعرفة تقتضي سَبْقَ الجَهْلِ بالشَّيءِ وإنكاره ثُمَّ التَّعرُّف عليه[3]، والعلمُ ليس كذلك، وجيء به مُضارعًا لِما يُفيدُه مِن المُتابعَةِ والتَّجدّد، الذي يُناسِبُ أحوالَ الخَلْقِ المتجدِّدة والمتنوِّعة بين الجهرِ والإخفاءِ.

دلالة تعريفِ ﴿ٱلْجَهْرَ﴾ وصوغِه مصدرًا:

الله تعالى يَعْلَمُ الجهر في القراءةِ وفي غيرها من سائِرِ الأحوال

قوله تعالى: ﴿ٱلْجَهْرَ﴾ مفعولُ فِعْلِ العِلْمِ؛ عُبِّر عنه بالمصدر الصَّريح للدّلالة على شدَّة وُضوحه وظُهوره. وجيء به مُعَرّفا بـ (أل)

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 316.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 396.
(3) العسكري، الفروق اللُّغويَّة: 80.

التي للجِنْسِ، ليَشْمَلَ التَّعبير به كلَّ ما كان مِن قَبيل الجهر، سواءٌ أكان ذلك في الإقراء أم في غيره من سائر الأحوالِ.

توجيهُ العطفِ بالواو:

الواوُ في قوله: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ لعَطْفِ ما بعدَها على ما قبلها، وقد أوثِرَ العَطْفُ بها لدلالَتِها على شمول عِلْمِ الله تعالى جنسَ الجَهْرِ وجنس ما كان خافيا، فالله سُبحانه لا يعزُب عنه مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السَّماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

سِرُّ التَّعبير بـ (ما):

(ما) في قوله: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ اسمٌ موصولٌ في محلِّ نصبٍ معطوفٌ على ﴿ٱلْجَهْرَ﴾. وأوثِر التَّعبير به لدلالته بمعناه ومبناه الذي ينتهي بحرفِ المدِّ على عموم عِلْمِ الله جَلَّ شأنُه كُلَّ خافية بسهولة ويُسْر، كما يعمُّ علمُه جنسَ الجَهْرِ بسُهولَةٍ ويُسْرٍ، ويَدْخُل في ذلك ما أنساه الله تعالى رسولَه ﷺ والمؤمنين من الوَحْيِ دخولًا أوَّليًّا.

الله تعالى يعمُّ علمُه كُلَّ خافيةٍ بسهولةٍ ويسرٍ كما يعمُّ علمُه جنسَ الجهرِ بسهولةٍ ويُسرٍ

سِرُّ التَّعبير بالفعل: ﴿يَخْفَىٰ﴾ مُضارِعًا مبنيًّا للمعلوم:

قولُه تعالى: ﴿يَخْفَىٰ﴾ جُملة فعليَّة لا محلَّ لها من الإعراب صلةُ الموصول، وأوثِر التَّعبير فيها بالفعل: ﴿يَخْفَىٰ﴾ مُضارعًا لدلالته على التَّجدُّد، والمعنى: يعلم ما يتجدَّد خفاؤه مِن القراءة وغيرها على أيِّ حالٍ كان الإخفاء، فيدلُّ على عِلْمِه به إذا جُهِر به بطريقِ الأولى[1]، وجيء به مبنيًّا للمَعْلوم مع أنَّ مُقْتَضى الظّاهر أن يُبنى لما لم يُسَمَّ فاعله، فيُقال: (يُخْفَى)؛ للإشارةِ إلى أنَّ عِلْمَ الله تعالى مُحيط بما يبالغ أصحابَه في إخفائه حتَّى كأنَّه مِن شِدَّة مُبالغَتِهم خافٍ في نفسِه، وأوثر التَّعبير بـ ﴿يَخْفَىٰ﴾ دون غيره لدلالته بمَعْناهُ ومبناه الذي يَنْتَهي بحرفِ المدِّ على المُبالغةِ في السِّتر والإخفاء،

عِلْمُ الله تعالى مُحيطٌ بما يبالغ أصحابُه في إخفائه، حتَّى يصير كأنَّه خافٍ في نفسِه

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 397.

يُزاد على ذلك ما تمتاز به الكلمة من رعاية للفاصلةِ التي بُنيت عليها السّورةُ الكريمة.

بلاغَةُ الطِّباق في الآيَةِ:

في الآية طباقٌ بَيْنَ الجَهْرِ والإخفاء في قوله: ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ وهو طباقٌ بين اسْمٍ وفعل، جمَعَ بينَهُما النَّظم الكريم في معمولِ فعلِ العِلْمِ المُسْنَد إلى ضمير الحقِّ جلَّ شأنه، ليدُلَّ على عمومِ علمِ اللّه - جاعلِ الإقراء والآمرِ به - ما يَجهر به النّاس وما يخفون من الوحي وغيره، وليُؤكِّد أنَّ إثباته شيئًا من الوحي أو مَحوَه شيئا آخرَ لا يحصل خبطَ عشواء، ولكنَّه ناشئٌ عن علمٍ مُحيطٍ بالمصالح والمفاسد، وبما يُظهر النّاس من الأحوال وما يُخفون، والمعنى: يعلم ما ظهَرَ وما بطَنَ مِن الأمور التي مِن جُمْلَتِها ما أوحيَ إليك، فيُنسي ما يشاء إنْساءَهُ، ويُبْقي محفوظًا ما يشاء إبْقاءَه؛ لِما نيط بكلٍّ مِنْهُما مِن مصالح دينكم[1]، أو: يعلم ما أسْرَرْتُم وما أعلنتم من أقوالِكُم وأفعالكم، وما ظهَر وما بطن مِن أحوالكم، وما هو مصلحَةٌ لكُم في دينِكُم ومفسدَةٌ فيه، فيُنسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظًا فيه ما يشاءُ[2].

علمُ الله تَعالى مُحيطٌ بالمصالحِ والمَفاسد وما ظَهَر مِن أحوال النّاس وما اسْتَتَر

مُناسبَةُ التَّعبير بالجَهْرِ والإخفاء، ووجهُ تَرْتيبِهِما:

مُناسبَةُ التَّعبير بـ ﴿ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ في هذا السّياق أنَّ ما يقرَؤُهُ النَّبيُّ ﷺ مِن القرآنِ الكريم هو مِن قبيل الجهر، فاللّه تَعالى يَعْلَمُه، وما ينساهُ فيسقطُه من القرآن هو من قبيلِ الخفيِّ، فيعلم اللّه تَعالى أنَّه اختفى في حافظته حين القراءة فلم يَبْرُز إلى النُّطق به[3]، ووجهُ تقديم ﴿ٱلْجَهْرَ﴾ على (ما يَخْفَى) - فضلًا عن رعاية الفاصلة - هو مُناسبة تقديمه للوَعْدِ بالإقراء المُقَدَّم على الوَعْدِ بعدَمِ النِّسيان.

التَّعبير بالجَهْرِ يُناسِب الإقراء، والتَّعبير بالخفاء يُناسِب عدمَ النِّسيان

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 145.
(2) الزَّمخشري، الكَشّاف: 4/ 439.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 281.

❁ الفُروقُ المعجميّة:

النِّسيان والسَّهْو والغفلة:

النِّسْيان يكون عَمّا كانَ، والسَّهو يكون عَمّا لم يكن، والغَفْلَة تكون عَمّا يكون[1]. ولأنَّ التَّعبير جاء في سياق الوعدِ بوقاية النَّبيِّ ﷺ مِن تَفَلُّت الوحي المُنزل عليه، والذي سيتتابع إقراءُ جبريل عليه السلام له؛ ناسب الحديث بفِعْلِ النِّسيان المنفيِّ، فقيل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، تبشيرًا للنَّبيِّ ﷺ، وتطمينًا لَهُ ليَمْضيَ في طريق دعوته، ويقومَ بتبليغ ما يوحى إليه، غير قَلِقٍ مِن نسيانه أو تفلُّته.

النِّسيان عَمّا كانَ، والسَّهوُ عَمّا لم يكُن، والغَفْلَةُ عَمّا يكون

الجَهْر والإعلان والتَّصريح:

الجَهْرُ هوَ إعْلانُ الشَّيْءِ وكَشْفُهُ وعُلوُّهُ[2]، والإعلانُ: ظهورُ ما كان خفيًّا في الباطِن؛ أي: خروجه منهُ معَ انْكِشافٍ وإشهار[3]، أمّا التَّصريح فهو خلافُ التَّعريض والتَّلميح[4]، ولمّا كان التَّعبير واردًا في سياق التَّعليل لِرَدِّ ما يحصل من تثبيتِ الوحي أو محوه إلى مشيئةِ الله تعالى؛ ناسب البيان بمُفردة ﴿ٱلْجَهْرَ﴾؛ لشُمولِها وعُمومِها كلَّ المُفرداتِ الأخرى، فهي تشمَلُ ما كان مُعْلَنًا، وما كان مُصرَّحا به إلى غير ذلك.

الجَهْرُ عامٌّ ويشمَلُ ما كان مُعْلَنًا، وما كان مُصرَّحا به

الإخفاء والكِتْمان:

الإخْفاءُ أعمُّ من الكِتْمان؛ إذ الكِتمانُ هوَ السُّكوت عَن المَعْنى، قال تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 159]؛ أي: يَسْكُتون عَن ذِكْرِهِ، أمّا الإخفاء فيكون في ذلك وفي غَيره؛ تَقول: أخْفيت الدِّرْهَم في الثَّوْب، ولا تَقول: كتمتُ ذلك، وتقول: كتَمْتُ المُنَى وأخفيتُه، فالإخفاء أعمُّ من الكتمان[5]، ولمّا كان التَّعبير

الإخفاءُ أعمُّ وأشملُ من الكِتْمانِ وغيرِه

(1) العسكري، الفروق اللُّغويّة، ص: 97، 98.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جهر).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (علن).
(4) الجوهري، الصِّحاح: (صرح).
(5) العسكري، الفروق اللُّغويّة، ص: 287.

واردًا في سياق التَّعليل لِرَدِّ ما يحصل من تثبيت الوحي أو محوه إلى مشيئة الله تعالى؛ ناسب البيان بمُفردة الإخفاء، فقيل: ﴿يَخْفَىٰ﴾ دون غيره؛ لدلالته بمعناه ومبناهُ - الذي ينتهي بحرف المدِّ - على المُبالغةِ في السَّتر والإخفاء، ولشموله الكتمانَ وغيرَهُ مِن المُفردات، يُزاد على ذلك ما تَمْتازُ به الكلمة مِن رعايةٍ للفاصلة التي بُنيت عليها السّورةُ الكريمة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"